

## التربية والتعليم - الرؤية والاستراتيجية - قراءة في آثار البشير الإبراهيمي

## Education and Teaching – Vision and Strategy – Studies in al Bachir al Ibrahimi's traces

د/زيد الخداوية - جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

elkhadaoui@zidi@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/10/09

تاريخ القبول: 2019/09/26

تاريخ الاستلام: 2019/09/16

## ملخص :

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965) واحد من صناعات الفعل التربوي والتعليمي في الجزائر. شكلت مبادئ جمعية العلماء المسلمين مرجعته الفكرية و المعرفة فكانت أعماله ترجمة لخطها الفكري. تحاول هذه الأسطر تتبع الرؤية و الإستراتيجية التي بناها الشيخ الإبراهيمي من أجل ترسيخ فكرة أنه بالتربية و التعليم تقاوم الأمة الاستعمار كما أنه بالتربية والتعليم يقاوم الجهل.

الكلمات المفتاحية: التربية؛ التعليم؛ الرؤية؛ الإستراتيجية

**Summary:** Sheikh Mohammed al-Bashir al-Ibrahimi (1889-1965) is one of the founders of educational in Algeria.

The Association of Muslim Scholars formed its intellectual and cognitive reference, his works translate its intellect. This summary attempts to follow the strategy of Sheikh Ibrahimi in order to consolidate that education resists the colonization and ignorance.

**Key Words:** Education; Teaching; Vision; Strategy

المؤلف المرسل: د/ زيد الخداوية elkhadaoui@zidi@gmail.com

## 1 . مقدمة :

يمكن اعتبار الرؤية التربوية والتعليمية في المنظومة الفكرية للبشير الإبراهيمي على أنها تقدم تجربة رائدة، تعكس الرؤية العامة لجمعية العلماء المسلمين والتي ترى المعلم أبا روحيا وصاحب رسالة وداعيا للخير ومصلحا للمجتمع أي هو بالفعل استمرار لفكرة الرسالة المحمدية القائمة على قيم الحق، والخير والعدل والمحبة والجمال . إن أفكار البشير الإبراهيمي في التربية والتعليم - والتي لا يمكن أن ننظر إليها إلا في إطار جمعية العلماء المسلمين - استطاعت أن تحرك الثورة ، وتهمز أركان الاستعمار الفرنسي وتخلخل قواه السياسية والعسكرية ، معتمدة إستراتيجية التنوير الذي يقود إلى التنوير الذي ينطلق من أسس التنوير .

فكانت الرؤية الحضارية التي تبشر بجيل ينتمي إلى مدرسة، هي المدرسة العربية التي تدعو إلى التسليح بالعلم باعتباره وسيلة للمقاومة والفهم الصحيح للحياة، ومن ثمة تنشأ بناء الإنسان والمواطن الصالح الساعي إلى تحقيق إنسانيته في نفسه ومحيطه ومجتمعه وأمتة قولاً وفعلاً وانفعلاً.

## 2. مفاهيم أولية حول التربية :

لقد كانت التربية ، ولا تزال ملجأ المصلحين، وقادة المجتمع في سائر مراحل التاريخ، يلجؤون إليها لتحقيق رسالتهم الإصلاحية من أجل تغيير أوضاع المجتمع من حال إلى حال<sup>1</sup>. إن التربية عمليات متواصلة متكاملة متناضحة متوازنة لتفتيق القدرات والملكات وإزهار المهارات والطاقات في الفرد والمجتمع إن التربية بذلك عملية تنمية ذات اتجاه معين و يترتب على ذلك أنها تحتاج إلى وكيل تربوي يوجه الشخص الذي يمر بهذه العملية ، أي أنها تقوم على أساسين وهما: المتعلم والوسيلة التربوية التي تشكل طبيعته الإنسانية<sup>2</sup>.

التربية هي تحقيق نمو الفرد في جميع جوانبه الجسدية والعقلية والانفعالية والاجتماعية، التربية هي الحياة بمعناها الغني المتعدد الجوانب، التربية هي مجموعة الجهود التي يقوم بها الآخرون ليتيحوا للفرد تحقيق ذاته وتكوينها.<sup>3</sup> إن التربية هي عملية تجنيد كل الجهود وتوجيهها نحو تحقيق الهدف الذي يجسد غايات الأمة وخصوصياتها الحضارية<sup>4</sup> وقد كانت التربية منطلق اهتمام علماء الحضارة العربية الإسلامية والتي يعتبرونها تفيدها معنى السياسة، والقيادة، والتنمية، وكان فلاسفة العرب يسمون هذا الفن "سياسة" كما هو معروف عند ابن سينا مثلا، وكان العرب يقولون عن الذي ينشئ الولد ويرعاه "المؤدب" و المهدب، والمربي، والمعلم غير أن لفظة المؤدب أشيع لأنها تفيده الرياضة والسياسة وتدل على العلم والأخلاق معا.<sup>5</sup>

إذن التربية مخزن أمان الأمة التي تحقق من خلاله نظرتها المنظمة للعلاقة بين الكون وبين الإنسان والحياة في تناغم وانسجام. والنظر في الإنسان المثالي والمجتمع الفاضل والجماعة الكاملة والطرائق التي أنتجها إنساننا في مجابهة الواقع وفي الأساليب المعيشية، وفي التعاملية<sup>6</sup>. وكما يقول كانط " لا يصبح الإنسان إنسانا إلا بالتربية " فان الإنسان هو العنصر الفاعل الذي تبدأ منه عملية التربية والتغيير الاجتماعي وأن دور هذا الإنسان في المجتمع لا يتوقف على حفظ النوع، بل هو خليفة الله في أرضه، وهذه الوظيفة الاستخلافية توجب إجراء عملية تغيير نفسي واجتماعي يخضع لها الإنسان من خلال الثقافة المستمدة أنساقها من العقيدة الدينية ليكون الأقدار على القيام بدوره الفاعل في بناء مجتمعه<sup>7</sup>، ولن يتأتى له ذلك إلا بتوفير أسباب هذا التغيير ولعل أول الأسباب، ترسيخ المفاهيم وفق رؤية تؤكد أن التربية تعنى بالسلوك الإنساني وتنميته وتطويره وتغييره أي أن هدفها أن تنقل إلى أفراد الجيل الجديد المهارات والمعتقدات والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة، التي تجعل منهم مواطنين صالحين في مجتمعهم متكيفين مع الجماعة التي يعيشون بينها أي أن التربية عملية تعليم وتعلم لأنماط متوقعة من السلوك الإنساني<sup>8</sup>، وان كان لكل مشروع تربوي مرجعيته التي يستمد منها غاياته ومراميها ويحدد من خلالها أهدافه المعلنة أو المضمرة للمأمول والمنتظر على الصعيدين الفردي والاجتماعي. فكيف نظر البشير الإبراهيمي إلى العملية التربوية و ما هي الإستراتيجية المتبعة في ذلك؟

### 3. مقومات الإستراتيجية التربوية عند البشير الإبراهيمي

#### 3.1 الإستراتيجية التربوية عند البشير الإبراهيمي :

إذا كانت الإستراتيجية هي فن اختيار وتنسيق واستعمال الوسائل من أجل تحقيق الهدف، وسط الظروف والملايسات ومختلف التحولات، وإذا كان هذا المصطلح يرتبط أساسا قبل دخوله إلى الأدبيات التربوية، بفن الخطة العسكرية فإن الباحث وهو يتدبر أفكار البشير الإبراهيمي يجد أنه كان يتمثل هذا المفهوم وينطلق منه، من بعد حضاري ومن ثمة راح يرسى ملامح إستراتيجية تربوية قوامها المحافظة على قيم الانتماء العربي الإسلامي لهذه الأمة، ومجابهة التحديات الاستدمارية بكل أشكالها يقول البشير الإبراهيمي " وكما أن جهنم تتقى بالأعمال الصالحة، وأساسها الإيمان فان الاستعمار يتقى بالأعمال الصالحة وأساسها العلم، وإذا كان العدو الأكبر لجهنم هو العمل الصالح فان العدو الأكبر للاستعمار هو التعليم<sup>9</sup> .

أن يربط البشير الإبراهيمي بين جهنم والاستعمار ويجعلهما في كفة واحدة، فذلك حتما لتأكيد رؤية وتحقيق هدف يبدأ بضرورة إحداث التغيير على المستوى الفردي والاجتماعي، إن هذا التغيير يحدث إذا وفقط إذا استيقظت الشرارة الروحية في النفوس.

و يقول محمد البشير الإبراهيمي في موضع آخر " احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم واجعلوها حاديتكم في تربية هذا الجيل الصغير وهاديتكم في تكوينه، وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في حيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق فمنها كانت الخيبة، ومنها كان الإخفاق<sup>10</sup>. تأتي هذه الرؤية التربوية في إطار نصائح يوجهها البشير الإبراهيمي إلى المعلمين وقد وصفهم بالأبناء البررة. والمؤكد أنها رؤية تعود في أصولها إلى الفكر التربوي الأصيل الذي ينبع من تراث فكري وعلمي له جذوره وأسس وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي " إن التربية تشبه فعل الفلاح الذي يقطع الشوك ويخرج النباتات الشوكية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه<sup>11</sup>.

إن التربية وسيلة فعالة وإستراتيجية حضارية لبناء الإنسان المنشود الذي يسعى إلى تحقيق شرائط الوجود، وعليه فلا بد من مقومات أساسية تجسد فكرة التربية واقعا حيا، يقول البشير الإبراهيمي " ومن عرف الاستعمار معرفتنا به لم يعجب ولم يندهش، خصوصا في وطن كالجائر لغته العربية، ودينه الإسلام ووطن أنهكه الاستعمار فلم يبق منه لحما إلا تعرفه ولا عظما إلا هشمه، فانتزع خيراته الطبيعية من أيدي أهله، ثم تسلل إلى مكامن النفوس لينزع الإيمان من قلوبهم، بهذه الوسائل التي منها تسيير مساجدهم على هواه وحرمانهم من تعلم دينهم ولغتهم فلما رأهم هبوا ودبوا، وأيقن أنهم ربما أوضاعوا وخبوا، رماهم بهذه القوانين التي بعضها يشل وبعضها يغل وجميعها يقتل<sup>12</sup>" يقول البشير لإبراهيمي وهو يبين رفضه التام للقوانين الفرنسية الجائرة التي تحاول طمس كل ماله علاقة بقيم هذا المجتمع و يؤكد أن هذه الأمة إن رضيت لأبنائها سوء التغذية لكنها لن ترضى لهم أبدا سوء التربية وإنما وإن صبرت مكرهة على أسباب الفقر فلن تصبر أبدا عن موجبات الكفر<sup>13</sup>، من أجل ذلك تأتي وصايا البشير الإبراهيمي لتؤكد ضرورة التسلح بالعلم باعتباره الوجه المكمل والمقوي للمواجهة العسكرية.

### 2.3. المقومات الأساسية للعمل التربوي والتعليمي عند البشير الإبراهيمي

ذكرت سابقا أن الإستراتيجية ترتبط قبل دخولها إلى الأدبيات التربوية بالخطة العسكرية والحربية، والمتأمل في فكر البشير الإبراهيمي يجد أن مصطلحات المجاهد، والجندي والثغور، تشكل العصب الحي الذي في ضوئه تتحرك رؤيته التربوية، ولا يمكن أن نقف على حقيقة هذه الرؤية إلا بوضعها في إطار الفلسفة التربوية التي ينتمي إليها البشير الإبراهيمي باعتباره يعكس رؤية جمعية العلماء المسلمين. والمقومات الأساسية في العمل التربوي ستشمل العنصر البشري باعتباره الفاعل الوظيفي والحقيقي لهذه المقومات ومن جملة المقومات :

أ- المدرسة : هي نقطة الالتقاء لعدد كبير من العلاقات الاجتماعية المتداخلة، وهذه العلاقات الاجتماعية هي المسالك التي يتخذها التفاعل الاجتماعي والقنوات التي يجري فيها التأثير الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية المركز في المدرسة يمكن تحليلها على أساس الجماعات المتفاعلة فيها وأهم مجموعتين هما: مجموعة المدرسين ومجموعة التلاميذ<sup>14</sup>.

ويؤكد المنظر السوسيولوجي على اعتبار المدرسة في بنائها ومضامينها مؤسسة اجتماعية ومعلوم أن " لكل مؤسسة اجتماعية هدف أو أهداف محددة تعمل على تحقيقها والوظيفة الاجتماعية المنوطة بالمدرسة هي أساسا، وظيفة التطبيع الاجتماعي الذي تمارسه على المتلقي / الناشئ، محاولة تشريه قيم ومثل ومعايير ومعتقدات المجتمع الذي ينتمي إليه<sup>15</sup> وفي ذلك يقول البشير الإبراهيمي حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، والمدرسة منبع العلم ومشروع العرفان وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة<sup>16</sup> لقد حدد البشير الإبراهيمي الوظيفة الأساسية والمهام الموكلة للمدرسة فما

الغاية منها؟ يقول الإبراهيمي " وما دمنا من بناء هذه المدرسة ومن أول الداعين إليها، والقائدين لحركتها والواضعين لبرامجها، والمشرفين على كل دقيقة وجليلة فيها والمعرضين للبلاء في سبيلها ففينا من الجرأة ما يدفعنا إلى الجواب عن السؤال ( الغاية من المدرسة هي تربية هذا الجيل وتعليمه )<sup>17</sup> .

**ب- المعلم :** يعتبر المعلم في الفكر التربوي الإسلامي العبارة التي ينتقل بها الصبي إلى الاقتداء بالنموذج الإسلامي المتمثل في النبي صلى الله عليه وسلم<sup>18</sup> وهذه الفكرة هي أس التوجه التربوي في آراء الإبراهيمي حيث يقول ونعني بالمعلمين هذه الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على قالب من آدابهم وأخلاقه<sup>19</sup> .

وفي مناسبة أخرى يصف البشير الإبراهيمي المعلم بالجندي وهي مفردة أخرى تؤكد البعد الاستراتيجي في مفهومه الأول : "انتم جنود العلم ولكلمة "جندي" معنى يبعث الروعة، ويوحى بالاحترام ، ويجلب الشرف ويغلي القيمة؛ لأنه في غاية معناه حارس مجد، وحافظ أمانة وقيم أمة . لذلك كان من واجبات الجندي الصبر على المكارِه والثبات في الشدائد والأزمات والسمع والطاعة فيما يغمض على الأذهان فهمه من العلل، ويعسر على العقول هضمه من الحكم، فإذا استرسل الجندي في الجزع والشكوى أو خانه الصبر فلاذ بالضجر، أخطأ النصر، وضاع الثغر، وإنما انتم حراس دروب ، ومرابطة ثغور ، فاصبروا واثبتوا، وقد كفيناكم سداد الرأي، فهاتوا سداد الإرادة وسداد العمل"<sup>20</sup> ويؤكد البشير الإبراهيمي لهؤلاء المعلمين الأحرار (الجنود) وانتم ممثلو جمعية العلماء في ناحية من أهم أعمالها ، وهي التربية والتعليم ، فكل واحد منكم صورة مصغرة من الجمعية في نظر الأمة، وجمعية العلماء هي رمز الدين الصحيح ، وهي حارس الفضيلة الإسلامية، وهي المثال المفسر للحكمة المحمدية بأحسن تفسيراتها، وهي المثل المضروب في مقاومة الباطل والمبطلين، وهي مظهر القدوة الدينية اعتقادا وعملا ، فهي - لذلك كله - ملء سمع الأمة وبصرها ، والأريخ المتضرع بسمعة الجزائر في العالم الإسلامي، فكونوا - في مظهركم ومخبركم - أمثلة صحيحة منها، واعلموا أن كل زلة منكم - وإن صغرت - محسوبة على جمعية العلماء - منسوبة إليها<sup>21</sup> . إن وظيفة المعلم في الفكر التربوي للبشير الإبراهيمي يمثل امتدادا للخط الفكري لجمعية العلماء المسلمين التي من أهم أهدافها التربية والتعليم من أجل الحفاظ على الخصوصية الحضارية لهذه الأمة ، يقول البشير الإبراهيمي " وفي وطنكم موجة من الإلحاد جاءت في ركاب الثقافة الغربية ، ويمكن لها القصد الصحيح من غايات الاستعمار، ومهد لها في نفوس هذا الجيل جهله بحقائق الإسلام ، وضعف صلته بالله ، وإن تساهلكم في إقامة شعائر الدين، أو استخفافكم بإحكامه ، معين على تفشي الإلحاد في الجيل الجديد الذي تقومون على تربيتهم، فاحذروا الظهور بمظهر المستخف بالدين<sup>22</sup> " ، لقد أبانت الحكومة الفرنسية على حقيقتها من خلال قوانينها الظالمة والجائرة وقراراتها التعسفية إنها باختصار " حرب على ديننا ولغتنا وإننا لا نرضى إلا بالحرية الصريحة ، فإن لم تكن فالموتة المريحة " .

إن المعلم في نظر البشير الإبراهيمي " هو من استحق أجر الجهاد وشكر العباد وصبر على عنت الزمان ، ووجود الإنسان وكلف السلطان"<sup>23</sup>

### 3.3. المعلم في الرؤية التربوية عند البشير الإبراهيمي :

إن المعلم هو الركن الأساس في عملية التربية والتعليم، فهو العقل المفكر واليد المنفذة والأب والموجه ولولا العلماء لصار الناس مثل البهائم، كما جاء في الإحياء لأبي حامد الغزالي أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية.

وقد قال الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ذات مرة جواباً عن سؤال وجه إليه، وهو لماذا لا تؤلف كتباً تبقى مرجعاً للناس في الفكرة الإصلاحية فقال: شغلنا تأليف الرجال عن تأليف الكتب، والشيخ ابن باديس كما هو معروف قد جمع في شخصه بين صفات المعلم، والمربي، والمصلح في وقت واحد وقد شغلته عملية تكوين جيل قائد في الجزائر يعمل على النهوض بها وتحريرها من الاحتلال عن عملية تأليف الكتب وإن كانت هامة إلا أنها ليست في أهمية تكوين الرجال وإصلاح المجتمع وهذا هو شأن المعلمين المصلحين في كل زمان ومكان، لذلك فإن الواجب هو أن يكون المعلم الذي يهب نفسه لمهنة التعليم مصلحاً، يشعر بشعور المصلح ويعمل عمل المصلحين لا عمل الموظفين الروتينيين، وينبغي أن يكون شعوره في الإصلاح مبنياً على المعرفة والدراسة العلمية الدقيقة للمجتمع حتى يستطيع أن يساهم في الإصلاح عن بصيرة وعلم ويوجهه التوجيه السليم<sup>24</sup> و إذن فالأخلاق و الفلسفة الأخلاقية هي أولى المقومات في الخطة التربوية لأية أمة تتغيا الإصلاح وقد أكد الشيخ عبد الحميد بن باديس في كثير من المناسبات على قضية الإصلاح حتى أنه شبه صلاح علماء الأمة بمثابة القلب من الجسم إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمل لنفسه وغيره فإذا أردنا أن نصلح العلماء فنصلح التعليم، والمعلم هو أساس إصلاح التعليم وعبد الحميد بن باديس كما هو معلوم رئيس لجمعية العلماء المسلمين وواضع منهجها التعليمي الذي يتبناه البشير الإبراهيمي في فكره التربوي حيث نجده يقول " نعني بالمعلمين هذه الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبناء الأمة لغتهم وتربيتهم على عقائد وقواعد دينهم، وطبعهم على قالب آداب وأخلاقه " <sup>25</sup> هذه الطائفة هي عماد جمعية العلماء في أجل وظائفها وهي التربية والتعليم، وهي العصب المدبر لحياة هذه الحركة المباركة، فعليها - بحكم الأمانة والدين - واجبات تشرعها الجمعية بالنظام والقانون وتؤكد بالادعوة والإرشاد، وتستعين على تحقيقها بالمراقبة والتفتيش، ولها حقوق تتقاسمها الجمعية والأمة أمراً وتنفيذاً<sup>26</sup> يلاحظ أن الفعل التربوي فعل يستدعي تكاثف الجهود وتضافرها، مادام الهدف واحد والغاية واحدة وهي تحرير العقول والنفوس والبلاد من بطش سياسة التجهيل والاستعباد.

### 4.3. صفات المعلم في الرؤية التربوية عند البشير الإبراهيمي:

الرؤية التربوية عند البشير الإبراهيمي حلقة تاريخية مضيئة، تضرب في جذور الفكر التربوي للحضارة العربية الإسلامية وتتقاطع في نقاط كثيرة منها مع الفكر التربوي الحديث، ومن هنا نجد أن الرؤية التربوية عنده قد احتوت أفكار متقدمة في علم النفس التربوي، ويمكن حصر الخصال والصفات فيما يأتي:

#### - تقوى الله :

فهي العدة في الشدائد والمعونة في الملمات وهي مهبط الروح والطمأنينة وهي منزل الصبر والسكينة وهي مبعث القوة واليقين وهي معراج السمو إلى السماء وهي التي تثبت الأقدام في المزالق وتربط على القلوب في الفتن.

- الرفق والأناة .

- الابتعاد عن الحزيبات لأنها تفتك بالخير والعلم .

- حسن العشرة في الاجتماع وحفظ العهد والغيب عند الافتراق .
- اتقاء مواطن الشبه و إجرار الألسنة عن مراتع الغيبة والنميمة وفطمها عن مراضع اللغو و اللجاج لأنها مفتاح باب الشر وثقاب نار العداوة والبغضاء <sup>27</sup> يؤكد البشير الإبراهيمي على هذه الصفات وأخرى وهو يقدم نصائحه من موقع الأب الروحي يقول " أي أبنائي! إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم والرحمة بكم والاهتمام بشؤونكم، ما تنبت منه الحبال وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي بحالككم من الغربة وإلحاح الأزمات ويود بقطع وتينه لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود ومتى طمع رفهنية العيش أسود ومتى عاش الأسد في التدليل؟ وهو يشعر أن التدليل دليل أنكم يا - أبنائي - رجال حركة فلا تشينوها بالسكون وأبطال معركة، فلا يكن منكم إلى أهوينا ركون وأنكم رجال جمعية العلماء فشرّفوا جمعية العلماء <sup>28</sup> هكذا تتجلى معالم الإستراتيجية التربوية التي تراهن على الاستثمار في العنصر البشري باعتباره الفاعل في عملية التغيير والإصلاح الاجتماعي من أجل تنوير العقول وتوجيهها الوجهة الصحيحة والسليمة في مقارعة ومجابهة كل أشكال التضليل والتغريب هذه هي صفات الطائفة التي استحققت فعلا اجر الجهاد وشكر العباد .

### 5.3. صفات المتعلم في الرؤية التربوية عند البشير الإبراهيمي: لا شك في أن المتعلم هو محور العملية التربوية

وهو المستهدف والغاية ومن ثمة فقد انصبت النظريات التربوية على هذا العنصر والنهوض به . ومهما كان المنهج محكم البناء فإنه قد لا يحقق أهدافه المرسومة إذا تولى تنفيذه معلم لا يؤمن بوظيفته ورسالته الحضارية ، لذلك كان من واجبات المعلم في الفكر التربوي عند الإبراهيمي أن يتمثل أهداف وغايات جمعية العلماء وان يعتبر نفسه صورة مصغرة لها . وما ينبغي أن يدركه المعلم هو أن التعليم أمانة يحملها وليس مجرد وظيفة يمارسها .

إن العامة التي ائتمنتكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة يخاطب البشير الإبراهيمي المتعلمين خاصة أولئك الذين هاجروا في سبيل تحصيل العلم " إن الحياة قسمان حياة علمية وحياة عملية وإن الثانية منها تبنى على الأولى قوة وضعفا ، وإنتاجا وعمقا إنكم " ، " إنكم لا تكونون في العمل أقوياء إلا إذا كنتم أقوياء في علم ولا تكونون أقوياء في علم إلا إذا انقطعتم له ووقفتم عليه الوقت كله ، إن العلم لا يعطى القيادة إلا لمن مهره السهاد وصرف إليه أعنة الاجتهاد " <sup>29</sup> والرحلة في طلب العلم من أهم مميزات الحضارة العربية الإسلامية إن المشاق والأخطار لم تقف حائلا دون تنفيذ رحلات ملأت نتائجها و أخبارها بطون الكتب ، فقد حملهم دافع العقيدة وحب العلم إلى أفاق بعيدة ومن منطلق المعلم العارف بأحوال العلم والتعليم يقدم الإبراهيمي للمتعلمين جملة من النصائح يمكن اختصارها في :

- عدم الاعتماد على حلق الدروس وحدها .
- تعزيز هذه الحلق بخلق المذاكرة ذلك أن المذاكرة لقاح العلم .
- عدم الاكتفاء بالكتاب المقرر .
- اختيار النافع والمفيد من الكتب .
- توزيع الوقت بشكل يجعل من الارتياح البدني سبيلا للقوة العلمية وليس هدرا للوقت .
- الاطلاع على كل ما يقوي المادة اللغوية وينمي الثروة الفكرية، ويغذي الملكة البيانية .
- اعتبار القرآن الكريم المبتدى والمنتهى ، إن الغاية من التعليم وسعي المتعلم فيه هدفه الأسمى التفقه في الدين واللغة ومعرفة التاريخ ، على المتعلم إذن أن يتشرب الفضائل الإنسانية التي تؤهله لأن يكون بدوره جنديا ، فالأمم إنما

تتفاضل وتتعالى بالبناء للخير والمنفعة والجمال والقوة من هنا سعى الفكر التربوي عند الإبراهيمي إلى أن يؤكد على ضرورة التمكين لفكرة التربية والتعليم عن طريق ترسيخ علاقة بين المعلم والمتعلم محاطة بمعاني التقدير والتبجيل. وتبقى معرفة سياسة المتعلمين وتدريبهم بابا عظيم الخطر جليل القدر .

#### 4. خاتمة:

يقول الإبراهيمي " يا هؤلاء إن الاستعمار شيطان وإن الشيطان عدو فاتخذوه عدوا هذا ما آمن به الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فهياً له الإستراتيجية والرؤية وراح يرسخ أنه بالتربية والتعليم يتقى الاستعمار كما تتقى جهنم بالإيمان وصالح الأعمال.

لقد استطاع البشير الإبراهيمي أن يرسم إستراتيجيته التربوية والتعليمية ببعده رؤية وحسن تقدير للحال.

لقد تأكد من خلال الرؤية التربوية للبشير الإبراهيمي أن فكره التربوي كان ممتدا للفكر التربوي الإسلامي الذي ركز على الجانب الأخلاقي في العملية التعليمية/التعلمية، معتبرا أن العلم بدون قيم تحرسه هو مناف لمبدأ أن المدرس يربي ويعلم في آن واحد.

إن المجتمع الإنساني يحتاج إلى الدين من أجل حماية الأخلاق، ويحتاج إلى الأخلاق من أجل حماية الحرية، ويحتاج إلى الحرية من أجل كرامة الإنسان.

<sup>1</sup>- تركي رابع ، أصول التربية والتعليم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1990م ، ص 371.

<sup>2</sup>- علي زيعور ، التربية والتعلم بين المعرفيات والنمو ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان 2010 ص 44 .

<sup>3</sup>- صلاح الدين شروخ ، علم الاجتماع ، دار العلوم للنشر والتوزيع ، 2004 ، ص 18.

<sup>4</sup>- محمد مسلم ، خصوصيات الهوية وتحديات العولمة ، دار قرطبة 2004 ، ص 92.

<sup>5</sup>- تركي رابع ، مرجع سابق ، ص 18.

<sup>6</sup>- علي زيعور ، المرجع السابق ، ص 57.

<sup>7</sup>- نور الدين مسعودان ، مالك بن نبي بقلم معاصريه ، دار النون للطباعة والنشر ، ص 19.

<sup>8</sup>- محمد لبيب النجعي ، الأسس الاجتماعية للتربية ، دار النهضة العربية ص 09.

<sup>9</sup>- أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي 1997 ، ص 220

<sup>10</sup>- المرجع نفسه ص 264

<sup>11</sup>- حسن بزون ، المعرفة عند الغزالي النظرية التربوية التعليمية ، ص 165

<sup>12</sup>- احمد طالب الإبراهيمي ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، دار الغرب الإسلامي 1997 ص 220

<sup>13</sup>- المرجع نفسه ص 221.

<sup>14</sup>- محمد لبيب النجعي ، مرجع سابق ص 74

<sup>15</sup>- مصطفى محسن ، المعرفة والمؤسسة ، دار الطليعة، بيروت، ص، 22.

<sup>16</sup>- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي المرجع السابق ص 260.

<sup>17</sup>- المرجع نفسه ص 275.

<sup>18</sup>- عارف عبد الغني ، نظم التعليم عند المسلمين ، دار كنان للطبع والنشر ، ص 160.

<sup>19</sup>- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي المرجع السابق ص 277 ص 270.

<sup>20</sup>- نفسه ص 271

21- نفسه ص 271

22- نفسه ص 261

23- رابح تريكي ص 378

24- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي مرجع السابق ص 277

25- نفسه ص 277

26- ينظر ص 265

27- مرجع سابق ص 265.

28- نفسه ص 203

29- ينظر آثار الإبراهيمي ص 271.